Received : 15 / 10 / 2024 Accepted: 19 / 11 / 2024 Published : 10 / 4 / 2025

إضاءة على برهان الصديقين وتطبيقه على تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي

حيدر محسن رحمة الياسري محمد كاظم رحمان ستايش

ha2214911@gmail.com

إلهيات و معارف اسلامي

الملخص

يعد برهان الصديقين من أبرز البراهين الوجودية التي تثبت وجود الله تعالى من خلال معرفة ذاته. من أبرز الفلاسفة الذين اهتموا بذلك في دراساتهم الفلسفية هم الملاصدرا و ابن سينا و الفلاسفة المسلمين لا سيما العلامة الطباطبائي. عرف العلامة هذا البرهان في كتبه الفلسفية تعريفا دقيقا وطبقه على تفسيره المعروف بالميزان تطبيقا رائعا. على ضوء ذلك تم اختيار هذا الموضوع لدراستنا هذه.

تم إخراج هذه الدراسة من خلال محورين هامين:

أولا: البعد النظري: في هذا المحور تم التعرض لماهية البحث مما يتعلق بتعريف البرهان لغة واصطلاح و مشتقاته وما إلى ذلك .

ثانيا: البعد التطبيقي: تم التطرق إلى تطبيق برهان الصديقين على تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي من خلال الاعتماد على الآيات القرآنية المعنية بذلك. وعلى ضوئه حصلت النتيجة أن العلامة كان ملما بهذا البرهان إطلاقا مما استخدم ذلك في تفسيره للآيات القرآنية وفضلا عن ذلك أبدع في هذا المجال أيضا .

الكلمات المفتاحية : البرهان، برهان الصديقين، تفسير الميزان، تطبيق وتقييم

Illumination on the Argument of the Righteous and Its Application to Al-Mizan Exegesis by Allama Al-Tabataba'i

Haider Mohsen Rahma Al-Yasiri

Mohammad Kazem Rahman Setayesh

Abstract

The Argument of the Righteous (Burhan al-Siddiqin) is one of the most significant ontological arguments that prove the existence of God through knowledge of His essence. Among the prominent philosophers who have explored this argument in their philosophical studies are Mulla Sadra, Ibn Sina, and various Muslim philosophers, particularly Allama Al-Tabataba'i. Allama Al-Tabataba'i precisely defined this argument in his philosophical works and applied it remarkably in his well-known exegesis, Al-Mizan.

Based on this, the present study has been chosen to explore the topic through two main dimensions:

1. **Theoretical Aspect:** This section delves into the nature of the argument, covering its linguistic and terminological definitions, its derivatives, and related concepts.
2. **Applied Aspect:** This section examines the application of the Argument of the Righteous in *Al-Mizan* by Allama Al-Tabataba'i, based on relevant Quranic verses. The findings reveal that Allama Al-Tabataba'i had a profound understanding of this argument and skillfully employed it in his exegesis of Quranic verses. Moreover, he demonstrated exceptional innovation in this field.

Keywords: Argument, Argument of the Righteous, Al-Mizan Exegesis, Application, and Evaluation.

 DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i2.734

المقدمة

إن مصطلح البرهان﴾ ورد على مفاهيم ومعان مختلفة من أهمها: اولا: البرهان: ورد في آية ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ (القصص:32) و قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾(سورة النساء: آية 174) ثانيا– الدليل: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾(سورة الفرقان: آية 45). اعتبر العلامة الدليل بمعنى الوضوح والشفافية في تفسيره للآية «فهي تبين أن ليس هذا ببدع من الله سبحانه ففي عجائب صنعه و بينات آياته نظائر لذلك ففعله متشابه وهو على صراط مستقيم، و ذلك كمد الظل وجعل الشمس دليلا عليه تنسخه، و كجعل الليل لباسا و النوم سباتا والنهار نشورا، وكجعل الرياح بشرا و إنزال المطر و إحياء الأرض الميتة و إرواء الأنعام و الأناسي به» (الطباطبائي م.، الميزان في تفسير القران، 1390ق، صفحة 225 ج 15)

ثالثا: البيان: عد العلامة هنا البيان معادلا للبرهان، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾(سورة الزخرف: آية 18). أي أو جعلوا لله سبحانه من ينشأ في الحلية أي يتربى في الزينة و هو في المخاصمة والمحاجة غير مبين لحجته لا يقدر على تقرير دعواه. رابعا: الحجة: اعتبرها العلامة معادلة للبرهان أيضا من خلال تفسيره لآية: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾(سورة الأنعام:آية80). قال العلامة في تفسيره للآية السابقة «إني واقع في أمر مفروغ عنه و مهتد بهداية ربي حيث آتاني العلم بما أراني من ملكوت السماوات والأرض وألهمني بذلك حجة أنفي بها ربوبية غيره من الأصنام والكواكب، وإني لا أستغني عن رب يدبر أمري فأنتج لي أنه هو الرب وحده لا شريك له» (الطباطبائي م.، الميزان في تفسير القران، 1390ق، صفحة 193 ج 7).

خامسا: السلطان: ورد في آية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ (سورةهود: آية 96) . كما قرر الطباطبائي في تفسيره «و أما السلطان و هو البرهان و الحجة القاطعة التي يتسلط على العقول و الأفهام فيعم الآية المعجزة و الحجة العقلية، و على تقدير كونه بهذا المعنى يكون عطفه على الآيات من قبيل عطف العام على الخاص. و ليس من البعيد أن يكون المراد بإرساله بسلطان مبين أن الله سبحانه سلطه على الأوضاع الجارية بينه وبين آل فرعون ذاك الجبار الطاغي الذي ما ابتلي بمثله أحد من الرسل غير موسى (عليه السلام) لكن الله تعالى أظهر موسى عليه حتى أغرقه و جنوده ونجى بني إسرائيل بيده». (الطباطبائي م.، الميزان في تفسير القران، 1390ق، صفحة 380 ج 1)

أما بخصوص برهان الصديقين يمكننا القول إن هذا البرهان كما يعتقد الطباطبائي مرتبط بملاصدرا ويقول عنه: «هذا البرهان يقوم على مؤشرة أصالة الوجود ووحدة حقيقة الوجود ولا يعتمد على امتناع تسلسل العلل. هذا البرهان يذهب إلى أن الله تعالى ليس بحاجة إلى واسطة لنثبت بها اياه سبحانه بل هو أظهر من الشمس بين أيدينا وأينما نتجه نشاهده في هذه الدنيا و وجود متبلور في جميع الأشياء وهو نور كما جاء في بعض الآيات القرآنية ومن ناحية أخرى وهو دليل على ذاته ووحدانيته وإطلاقيته وغير ذلك» (الطباطبائي م.، اصول الفلسفة والمنهج الواقعي، 2023م، صفحة 766 ج2) .

ويعد العلامة الطباطبائي من كبار مفسري الشيعة في القرن المعاصر مما له يد طولى في علم التفسير والقرآن وذلك يتجلى في كتابه الشهير "الميزان في تفسير القرآن الكريم، فهو في هذا الكتاب، استطاع بقدرة علمية متميزة، الاستفادة من أصول علم القرآن ومبادئه وخلطها برؤيته التفسيرية مما جعل ذلك من كتابه هذا موسوعة علوم قرآنية نلاحظ فيها جميع ما يتعلق به. من أهم ما نلاحظه في كتاته استعانته، في تفسيره للآيات القرآنية، بالقضايا المنطقية والفلسفية نحو البرهنة حيث قد يصطبغ تفسيره بصبغة منطقية نرى فيها البرهان مع ما يليه من المكونات المنطقية وتحديداتها الخاصة به.

سؤال البحث: كيف ينطبق برهان الصديقين على تفسير الميزان؟

فرضية البحث: لقد اعتمد العلامة الطباطبائي في تفسير للآيات القرآنية على برهان الصديقين من خلال تطبيق مكونات ومبادئ هذا البرهان على الآيات القرآنية.

سابقة البحث: تم إخراج بعض المقالات والكتب في هذا المجال ومن أهمها ما يلي:

1– كتاب عنوانه: البرهان شرح كتاب الإيمان، ألفه عبد العزيز الزنداني ونشرته دار أضواء السلف للنشر والتوزيع في اسطنبول، سنة 2013 ميلاديا. وقد تكلم الكاتب في هذا الكتاب عن الأدلة القاطعة على الإيمان وما يليه من البرهان على أي نوع كان. ومن أهم المحاور المطروقة في هذا الكتاب هو معرفة الكافرين من أدلة الإيمان، شبهة وردود،الرد على ضلالات النصارى. ومن الواضح إن هذا الكتاب لا يمت لموضوعنا بصلة.

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i2.734

2. مقالة عنوانها: البرهان ألفها عماد الدين خليل وقد تكلم فيها عن البرهان وادعى أن البرهان في القلب خلافا لما يدعيه الغربيون، منذ عهد الاغريق حتى العصر الحالي، ويستند في دعواه ببعض الآيات القرآنية مثل ما ورد في آية 16- 18 من سورة الأنبياء. وهذه المقالة حسب ما يبدو لنا هي مقالة قامت برفض الرؤية الغربية بخصوص البرهان وعدم علاقته بالإيمان واعتباره الأمر العلمي المحض، ولا يرتبك بهذا الموضوع قطعا.

3. مقالة عنوانها: البرهان الوجودي على وجود الله تعالى، ألفها مهدي الحائري اليزدي، ونشرها في مجلة الاستغراب سنة 2017 ميلاديا، تحدث الكاتب في هذا المقالة عن وجود الله تعالى مع تحليله لبعض الرؤى العلمية، مثل ما يتعلق بآنسلم وقضيته: الله موجود، تحليل الشيخ الطوسي في هذا المجال. كما لا يفوته التكلم عن ابن سينا ورؤيته الفلسفية بخصوص ماهية وجود الله تعالى وهذا لا يرتبط نهائيا بموضوعنا هذا رغم وجود بعض الاشتراكات الجزئية بينهما.

المبحث الأول

البرهان لغة واصطلاحا

وردت البرهنة في عدة معاجم عربية مما حددت معانها اللغوية والاصطلاحية.

أ- لغويا: هي مصدر كلمة البرهان، ونلاحظها في كثير من المعاجم العربية بصورة مكثفة. من أقدم هذه المعاجم التي وردت فيها، هو تاج العروس حيث قال «قد برهن عليه: أقام عليه البرهان، أي الحجة» (الزبيدي، 1414ق,1431ق، صفحة 251 ج34).

كذلك جاء في لسان العرب: «برهن: التَّهْذِيبُ: قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾(سورة البقرة: آية 111). ؛ البُرْهان الحُجّة الْفَاصِلَةُ الْبَيِّنَةُ، يقَالُ: برْهَنَ يُبَرْهِنُ برْهَنةً إِذَا جَاءَ بحُجّةٍ قَاطِعَةٍ لِلَدَد الخَصم، فهُوَ مُبَرْهِنٌ» (ابن منظور، 1414ق، صفحة 51 ج 13).

كما يلاحظ أيضا في القاموس المحيط: «برْهَنَ عليه: أقامَ البُرْهانَ» (الفيروزآبادى، 2005م، صفحة 1180). كما ورد في تهذيب اللغة أيضا: «برْهَن فلانٌ: إذا جَاءَ بالبُرْهان، مُوَلَّد، وَالصَّوَاب أَن يقَال: أَبرَه: إذا جَاءَ بالبُرْهان كَمَا قَالَه ابْن الأعرابيّ إِن صحّ عَنهُ، وَهِي فِي رِوَايَة أبي عَمْرو، وَيجوز أَن تكون النُّون فِي البُرْهان نون جمعٍ على فُعْلَان، ثمّ جُعلت كالنُّون الأصليّة، كَمَا جمعُوا مُصَاداً على مُصْدَانٍ، ومَصيراً عَلَى مُصْرانٍ، ثمّ جَمَعُوا مُصرانَ على مَصَارين، على توهّم أنّها أصليّة» (الازهري، 1382ق _2001م، صفحة 157 ج 6).

لكن البرهان ظهرت في كثير من المعاجم اللغوية، مما لا نجد فيها اختلافا كبيرا من ناحية دلالتها. جاء يعني «بيَان الحجّة وانّضاحها وَالْحجّة الساذجة، دون الْبَالِغَة. قيل: دهقَ الْبَاطِل غَلبه الْحق وَقد أزهق الحقّ الْبَاطِل» (ابن سيدة، 1417ق، صفحة 409 ج 3).

ب-اصطلاحيا: واللافت للنظر أننا لا نجد اختلافا كبيرا بين مدلول البرهنة والبرهان اللغوي والمدلول الاصطلاحي. إن القرآن عني عناية واسعة به كما أدخله ضمن بعض الآيات. وفي التفسير «الحجة ويراد به السبب المفيد لليقين، قال سبحانه وتعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾(سورة النساء: آية174) ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾(سورة النمل: آية 64) ، فالبرهان هو الحجة اليقينية التي تجلي الحق ولا تدع ريباً لمرتاب» (السبحانى التبريزى، 1308ق، صفحة 143).

قال الشنقيطي معرفا البرهان والبرهنة استنادا إلى القرآن الكريم «الدليل الذي لا يترك في الحق لبساً وَقوله: ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾(المومنين:117) وكَقَوْلِهِ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾(سورة الحج: آية71) ، والسلطان هو الحجة الواضحة بمعنى البرهان» (الجنكى الشنقيطى، 2019م _1415ق، صفحة 364 ج 5).

وقد عرفه البعض بالعلم كما قرر غالب حسن في كتابه "نظرية العلم في القرآن ومدخل جديد في التفسير" : «والبرهان والبرهنة أحكم الدلائل ويدل على الصدق ولذلك كان مطلبا قرآنيا في الحجاج ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة البقرة: آية 111) وذلك العلم ولهذا السبب، صار مقترنا بالوضوح ضمن بناء واحد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ (سورة النساء: آية 174)، والبرهان يعارض في جوهره وصميمه مع الهوى الذي طالما يجعل النشاط العلمي منحرفا عن طريقه الحقيقي لأهداف مختلفة ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(سورة البقرة: آية 111). وبالمقابل يتعلق بروابط ووشائج لحمة محكمة

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i2.734

العصب مع الحق، يعني التطابق مع الواقع والشيء الذي في نطاق الشفافية والوضوح ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (سورة القصص: آية 75) عليه، فإن البرهان في الآية أعلاه، وسيط النبوة بوصفها أعلى الشهادة البشرية أو الانسانية في مسير المعرفة والحق الذي واقع بذاته وانحراف أهل النفس والهوى بواسطة ضعفهم عن الاتيان بالبرهان، وهذه المقارنة تصل بنا إلى نتيجة هامة وهي: «إن البرهان هو العلم وقد يبدو بمعنى الحجة مباشرا ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾(سورة النمل: آية64. ينظر: (غالب، 2001م_1421ق، صفحة ص101)

وقد اعتمد مكارم الشيرازي في تحليله للبرهان، على بعض المفسرين نقلا عنهم «البرهان وعلى حدّ قول الراغب في المفردات يعني الدليل المحكم، وإطلاق هذه المفردة على الأدلّة المحكمة من باب بيانه للمطلب، وتوضيحه له، أو لأنّه يبعث على افتخار المتكلّم، أو أنّه إشارة إلى الكلام الواضح الذي يعتريه الإبهام. وفي لسان العرب فسّر البرهان بمعنى الدليل الواضح الذي يميّز الحقّ عن الباطل. لكن صاحب كتاب «التحقيق» يعتقد بأنّ استعمال لفظة البرهان بمعنى الدليل اصطلاح منطقي خارج عن دائرة اللغة، وأنّ معناه هو ذلك الكلام الواضح الخالي من الإبهام، أو الموضوع الواضح تماماً» (مكارم الشيرازى، 1426ق، صفحة 229 ج 7).

على ضوء ما سبق يمكننا الوصول إلى أنه جاء البرهان والبرهنة في كثير من الأحيان بمعنى الدليل والحجة، كما إن الآيات القرآنية وبعض الأحاديث الشريفة مؤكدة على ذلك، لكن البعض قرن البرهنة والبرهان بالعلم والمعرفة المنطبقة على الشفافية والوضوح والبعيد عن أي أمر ضبابي. من هذا المنطلق، تجدر الإشارة إلى أن القول بأننا لا نرى فرقا ملحوظا بين المدلول اللغوي والاصطلاحي للبرهنة. عليه، إن البرهنة والبرهان، الحجة من الناحية اللغوية، وإظهار حجة على أمر ما من الناحية الاصطلاحية. غير أنه، هناك مصاديق مختلفة للبرهنة والبرهان حسب كل المذاهب العقدية والطوائف الفكرية نمتنع عن التعرض لها للاختصار.

مما يتعلق بالبرهنة في كتابه إذ قال تعليقا على آية 125 من سورة النحل: «القرآن الكريم يهدي العقول إلى استعمال ما فطرت على استعماله و سلوك ما تألفه و تعرفه بحسب طبعها و هو ترتيب المعلومات لاستنتاج المجهولات، و الذي فطرت العقول عليه هو أن تستعمل مقدمات حقيقية يقينية لاستنتاج المعلومات التصديقية الواقعية وهو البرهان، وأن تستعمل فيما له تعلق بالعمل من سعادة و شقاوة وخير وشر ونفع و ضرر و ما ينبغي أن يختار ويؤثر و ما لا ينبغي، وهي الأمور الاعتبارية، المقدمات المشهورة أو المسلمة، وهو الجدل، و أن تستعمل في موارد الخير والشر المظنونين مقدمات ظنية لإنتاج الإرشاد والهداية إلى خير مظنون، أو الردع عن شر مظنون، وهي العظة قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(سورة النحل: آية 125) والظاهرحسب رأي الطباطبائي، أن المراد بالحكمة هو البرهان كما ترشد إلى ذلك مقابلته الموعظة الحسنة والجدال» (الطباطبائى م.، الميزان، بيروت، صفحة 267ج5)

في موقف آخر من تفسيره لبعض الآيات القرآنية عرفه الطباطبائي بوصفه الحجة اليقينية، وذلك في تفسيره للآية الكريمة: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾(سورة القصص: آية 32) وقال: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾(سورة النساء: آية 184)وقال: ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾(سورة النمل: آية 64) وهو الحجة اليقينية التي تجلي الحق ولا تدع ريبا لمرتاب. والذي رآه يوسف (عليه السلام) من برهان ربه وإن لم يوضحه كلامه تعالى كل الإيضاح لكنه كان سببا من أسباب اليقين لا يجامع الجهل و الضلال بتاتا، و يدل على أنه كان من قبيل العلم قول يوسف (عليه السلام) فيما يناجي ربه كما سيأتي: ﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾(سورة يوسف: آية 33)، ويدل على أنه ليس من العلم المتعارف بحسن الأفعال و قبحها و مصلحتها و مفسدتها إن هذا النوع من العلم قد يجامع الضلال والمعصية وهو ظاهر قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ (الجاثية: 23)وقال: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾(سورة النمل: آية 14)– (الطباطبائى م.، 1390ق، صفحة 129 ج 11).

بالجملة يقول الطباطبائي: «والبرهان حجة مفيدة لليقين فإن كانت الحجج التي أقاموها عليها الفلاسفة... وفي مقابلها ظهور والظهور حجة ظنية» (الطباطبائى م.، الميزان، بيروت، صفحة 287ج 14).

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i2.734

المبحث الثاني

برهان الصديقين؛ تعريفه وتحديداته

من البراهين المثبتة وجود الله تعالى هو برهان الصديقين، «البراهين الدالّة على وجوده تعالى كثيرة متكاثرة ، وأوثقها و أمتنها هو البرهان المتضمّن للسلوك إليه من ناحية الوجود، و قد سمّوه برهان الصدّيقين لما أنّهم يعرفونه تعالى به لا بغيره. وهو كما ستقف عليه برهان إنّي يسلك فيه من لازم من لوازم الوجود إلى لازم آخر»(الطباطبائي: نهاية الحكمة، ج 4، ص 1041). ومن المعتقد به أن هناك اربعة براهين تثبت وجود الله تعالى، كما جاء في بعض المصادر «تضمّن أربعة براهين تثبت وجود الله سبحانه، وهي: برهان الصدّيقين، برهان الإمكان والوجوب، برهان الحركة، برهان الوسط والطرف. ومن الجدير بالذكر أنّ برهان الصدّيقين يعتبر أقوى هذه البراهين الأربعة» (رضائي، 1392 ش، صفحة 10 ج 19).

إن هذا البرهان كما يعتقد الطباطبائي يخص الملا صدرا، ((هذا البرهان يقوم على مؤشرة أصالة الوجود ووحدة حقيقة الوجود ولا يعتمد على امتناع تسلسل العلل. هذا البرهان يذهب إلى أن الله تعالى ليس بحاجة إلى واسطة لنثبت بها اياه سبحانه بل هو أظهر من الشمس بين أيدينا وأينما نتجه نشاهده في هذه الدنيا ووجود متبلور في جميع الأشياء وهو نور كما جاء في بعض الآيات القرآنية ومن ناحية أخرى وهو دليل على ذاته ووحدانيته وإطلاقيته وغير ذلك)) (الطباطبائي م.، اصول الفلسفة والمنهج الواقعي، 2023م، الصفحات 766,ج2). هذا البرهان يعد من أهم البراهين التي تثبت وجود الله تعالى من خلال الاعتماد على نفسه بوصفه العلة التامة وواجب الوجود.

أولا: تعريفه وتحديداته: يختصر تعريف هذا البرهان في «أنّ كل موجود من حيث ذاته، فأمّا أن يجب له الوجود، فيكون إمّا أن يكون واجباً و هو المطلوب، وإما أن يكون ممكناً فيحتاج إلى علّة ترجّح وجوده. والعلّة إما هي واجبة فيثبت المطلوب، وإما أن تكون ممكنةً فلا بد من انتهاء سلسلة العلل إلى الواجب دفعاً للدور و التسلسل؛ لأنّ ذلك الممكن الآخر الذي فُرِضَ علّة إمّا أن يتوقف على العلّة الأولى فهو دور، أو على غيرها فننقل الكلام إلى تلك العلة الأخرى إلى ما لا نهاية له فيتسلسل» (ابن سبنا، 1413ق _1339ش، الصفحات 53 , ج1)

ويخلص هذا البرهان الشيخ السبحاني «أنّ للإنسان أن يتوصل إلى معرفة الله من مطالعة الوجود نفسه ... بمعنى أنّه لا يحتاج هنا لإثبات الصانع إلاّ إلى مطالعة نفس الوجود لا غير» (السبحاني، 1421ق، الصفحات 122,ج 1) ولهذا البرهان أصل قرآني وجذور في كتاب الله العزيز سنبينها في المطلب الآخر من هذا الفصل.

بقطع النظر عما مضى، إن ما يؤكد عليه في خصوص هذا البرهان (في كتب العلامة الطباطبائي عامة وتفسيره خاصة) هو مصطلح أصالة الوجود، ويعرفه هكذا: يبدو واضحا إن الأشياء جميعا، أي جميع الأمور الواقعية إنما يتعين في ظل الواقعية أو الواقع. وإذا افترضنا أن واقع الوجود عند سلب الوجود عنه يكون معدوما، فهذا خطأ محض لا يتعدى الوهم والخيال. بتقرير أدق، إن الجوهر الأصيل في الأشياء جميعا هو الوجود والماهية ذهنية لا واقعية، معناه أن الوجود في حد ذاته واقعي وجوهر الواقعية والماهيات جميعا تصبح واقعية به وبدونه (الذات أو الوجود) يكون أمرا اعتباريا ذهنيا فقط، بل الماهيات انعكاسات وبوارق تحدثها الواقعيات الخارجية في ذهنيتنا وإدراكنا وإلا فهي لا يمكنها الانفصل عن الوجود في العالم الموضوعي، ويكون لها استقلال وجودي بنحو من الأنحاء) (الطباطبائي م.، اصول الفلسفة والمنهج الواقعي، 2023م، الصفحات 56 , ج2 بتصرف)

ثانيا: مصاديق أصالة الوجود: واعتمادا على أصالة الوجود الصدرائي تحدث الطباطبائي عن محورين هامين:

1- الفقر الوجودي: إن الفقر الوجودي هو احتياج شيء إلى ما فوقه ذاتيا، والفقير الوجودي «هو ما سواه من أفعاله و آثاره ولا قوام لما سواه إلا به لما مر أن حقيقة الوجود لا نقص لها وأنما يلحقه النقص لأجل المعلولية» (الملاصدرا الشيرازي، الحكمة المتعالية فى الأسفار العقلية الأربعة، 1981م، الصفحات 15, ج 6) .

لو أمعنا النظر قليلا في هذا المجال نفهم أنه الفقر الوجودي هو ناتج عن الإمكان والضرورة كما يشير إليه العلامة إذ يقول ((ففي عالمنا الطبيعي نظامان: نظام الضرورة ونظام الإمكان، فنظام الضرورة منبسط على العلل التامة ومعلولاتها ولا يوجد بين أجزاء هذا النظام أمر إمكاني البتة لا ذات ولا فعل ذات، ونظام الإمكان منبسط على المادة والصور التي في قوة المادة التلبس بها والآثار التي يمكنها أن تقبلها، فإذا فرضت فعلا من أفعال الإنسان الاختيارية ونسبتها إلى تمام علتها، وهي الإنسان والعلم والإرادة ووجود

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i2.734

المادة القابلة وتحقق الشرائط المكانية والزمانية وارتفاع الموانع، و بالجملة كل ما يحتاج إليه الفعل في وجوده كان الفعل واجبا ضروريا، وإذا نسب إلى الإنسان فقط، ومن المعلوم أنه جزء من أجزاء العلة التامة كانت النسبة بالإمكان)) (الطباطبائى م.، اصول الفلسفة والمنهج الواقعي، 2023م، الصفحات 109 , ج 1) .

على هذا الأساس، إن الضرورة تتعلق بالله تعالى والإمكان يتعلق بالإنسان وجميع ما في الكون والذي يكون وجوده متساوٍ بين الوجود والعدم. هذا يوضح لنا الفقر الوجودي للممكن (أي الإنسان)، وإطلاقية الضرورة (أي لله تعالى) وخالقيته وإفاضته الوجود للعالم. بعبارة أخرى، إن ((سبب الاحتياج و الفقر إلى العلة كما بين في محلة كون الوجود (وهو مناط الجعل) وجودا إمكانيا، أي رابطا بحسب الحقيقة غير مستقل بنفسه، فما لم ينته سلسلة الربط إلى مستقل بالذات لم ينقطع سلسلة الفقر والفاقة))((الطباطبائى م.، اصول الفلسفة والمنهج الواقعي، 2023م، الصفحات 109 , ج 1).

يوضح العلامة هذا الأمر تذييلا لآية قرآنية بقوله ((في الحقيقة إننا إذا نفتح عيوننا على هذا الوجود، اول ما نواجهه فيه هو أنفسنا وما يكون بيننا وبين الطبيعة والمجتمع من العلاقة، هذا أول ما يقع في إدراكنا عموما. فالاحتياج والفقر من أقدم ما يلاحظه الإنسان يلاحظه من ذاته ونفسه و من جميع ما يتعلق به من مقدرته، وأفعاله وأعماله والعالم الخارجي، عندئذ يقوم برفع حاجته... لكن حاجته الأصلية هي وجودية وتتعلق بالله تعالى. والذي يدل على هذا هو أنه ينتهي كل شيء إليه سبحانه، كما نلاحظ هذا الأمر في الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾(سورة الفاطر: آية 15). ومن ناحية أخرى، واستنادا على الآية المذكورة من المحتم أن أقدم ما نلاحظه في البحث عن الغناء الوجودي والفقر الوجودي أنا نقر باتجاه كل شيء إليه، وماهيته وجوهره وكينونته منه، فهو مالك جميع العالم، لعلمنا أنه لو لم يكن مالكها فلم يقدر على إفاضتها وإفادتها لغيره، على أن بعض الأشياء قد بني جوهرها على على الفقر والحاجة منبئة عن النقص، وهو سبحانه منزه عن أية نقيصة أوحاجة، ذلك أن جميع الأمور والأشياء يعود إليه في رفع الاحتياج والنقص بلا أي استثناء ألبتة)) (الطباطبائى م.، اصول الفلسفة والمنهج الواقعي، 2023م، الصفحات 350-351، بتصرف , ج 8) .

ويؤكد أيضا ((بوجه أدق وألطف وهو أن المعلول مفتقر في وجوده إلى العلة الفاعلة متعلق الذات بها، وليس من الجائز أن يتأخر هذا الفقر و التعلق عن مرتبة ذاته ويكون هناك ذات ثم فقر و تعلق وإلا استغنى بحسب ذاته عن العلة و استقل بنفسه عنها فلم يكن معلولا هف فذاته عين الفقر والتعلق فليس له من الوجود إلا الرابط غير المستقل وما يتراءى فيه من استقلال الوجود المفروض معه أولا إنما هو استقلال علته فوجود المعلول يحاكي وجود علته ويمثله في مرتبته التي له من الوجود)) (الطباطبائى م.، اصول الفلسفة والمنهج الواقعي، 2023م، الصفحات 194 , ج 13) .بصورة عامة «الممكن محتاج إلى العلّة بقاءً كما أنّه محتاج إليها حدوثاً بخلاف جمهور المتكلّمين حيث ذهبوا إلى أنّ الفعل يستغني عن الفاعل في بقائه» (الطباطبائي م.، نهاية الحكمة، 1362 ش، الصفحات 83 , ج 1).

وبان مما تقدم لنا أمران: ((الأمر الأول: إن الإنسان كما يستند إلى المشيئة أو الإرادة الإلهية، من الناحية الوجودية، كذلك تستند أفعاله إلى إرادته سبحانه وتعالى على إطلاق الأمر. فالمواصفات الوجودية الخاصة بالمعلول دخيلة في العلة، على هذا، إن المعلول متعلق بعلته ومستند إليه من الناحية الوجودية، ومثلما يستند الإنسان إلى العلة الأولى من بأبعاده الوجودية من الأبوين، والمكان والزمان والكيف والمك والعوامل المادية الأخرى، كذلك أفعال الإنسان تستند إلى علته الأولى مع الأخذ بجميع حدوده الوجودية، فالفعل هذا حينما استند إلى علته الأولى والإرادة الحتمية لا يبعده ذلك عما يكون عليه ولا يسبب زوال الإرادة الإنسانية في حيز التأثير مثلا. ومن ناحية أخرى، إن أفعال الإنسان لها انتساب إلى الفاعل وانتساب إلى الواجب وهاتان النسبتان لا توجبان بطلان الأخرى لماهيتهما الطولية للعرضية.

الأمر الثاني: إن كما أنها تنتسب إلى العلة التامة كذلك تستند إلى بعض أجزاء هذه العلة مثلا كالإنسان. كما نعرف أن النسبة هذه بالإمكان فكون عمل من الأعمال ضروري الوجود بملاحظ العلة التامة الضرورية له لا يسبب أن يكون هذا العمل ممكنا بنظر آخر، ذلك أن النسبتين ثابتتين غير متنافيتين. والحق أن الوقائع والأفعال واجب وجودها بالنسبة إلى العلة التامة لها وممكن وجودها بالنسبة إلى أجزاء عللها التامة)) (الطباطبائى م.، اصول الفلسفة والمنهج الواقعي، 2023م، الصفحات 110 بتصرف , ج 1). تماشيا مع الفكرة أعلاهن إن الإنسان ممكن وجوده ومفتقر إلى الله تعالى من ناحيته الوجودية ومن جميع أبعاده.

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i2.734

ومن الآيات الناصة على هذا الأمر: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، (سورة الأعراف، آية 54)((الخلق في عرف الدين وأهله في معنى الإيجاد أو الإبداع على غير مثال سابق، وأما الأمر فيستعمل في معنى الشأن ويستعمل بمعنى نتيجة الأمر وهو النظم المستقر في جميع أفعال المأمور المنبسط على مظاهر حياته، فيستعمل بمعنى الشأن في كل شيء فأمر كل شيء هو الشأن الذي يصلح له وجوده، وينظم له تفاريق حركاته و سكناته وشتى أعماله وإراداته، يقال: أمر الإنسان إلى ربه أي بيده تدبيره في مسير حياته. والحاصل: أن الأمر هو الإيجاد سواء تعلق بذات الشيء أو بنظام صفاته وأفعاله فأمر ذوات الأشياء إلى الله وأمر نظام وجودها إلى الله لأنها لا تملك لنفسها شيئا البتة، والخلق هو الإيجاد عن تقدير وتأليف سواء كان ذلك بنحو ضم شيء إلى شيء كضم أجزاء النطفة بعضها إلى بعض أم من غير أجزاء مؤلفة كتقدير ذات الشيء البسيط وضم ما له من درجة الوجود وحده وما له من الآثار والروابط التي له مع غيره، فالأصول الأولية مقدرة مخلوقة كما أن المركبات مقدرة مخلوقة)))) (الطباطبائي م.، اصول الفلسفة والمنهج الواقعي، 2023م، الصفحات 151_152 , ج 8). وهناك آيات أخرى تشعرنا بهذا الأمر ما قاله تعالى في محكم كتابه (وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ) (سورة البقرة: آية 275). وقوله سبحانه أيضا (أَتَى أَمْرُ اللهِ)(سورة النحل:آية 1).

2. وحدة حقيقة الوجود (توحيد الله تعالى): إن من مميزات أصالة الوجود، أن الوجود لا نهاية له وتنتهي جميع الوجودات إلى وجود واحد وهو الله تعالى مما لا يتعين وجوده من وجود آخر، كما يفهم من السياق التالي : ((إن الوجود هو الحقيقة الأصيلة التي ليس لها غيره في الخارج لإبطاله، فذلك محض أو صرف فجميع ما فرضنا له ثانيا فذلك هو ذلك أنه لو كان ممتازا بغيره أو نفس غيره لتعرض للبطلان فالثاني يمتنع فرضه لذلك هو واحد ممتاز بالوحدانية الحقيقية. ومن هذا المنطلق، تجدر الإشارة إلى أن كل كمال أو وصف حقيقي متبلور في ذاته إطلاقا. فهو في الحقيقة يضاد العدم وغير خاضع له أساسا خلافا لما يجري في الممكنات، فهو الحقيقة واجب وجودها في حد ذاتها. وبالتالي إن حقيقته واحدة وواجبة في الوقت نفسه، وجامعة لجميع الصفات الكمالية ومنزهة عن مميزات النقص والعدم)) (الطباطبائي م.، 1986 م _1419 ق، الصفحات 6 بتصرف , ج 1)

لكن هاهنا ينبغي التأكيد على أن الوحدة ليست ما يتعلق بالرياضيات أو ليست الوحدة العديدية «فانها ليست وحدة عددية شخصية كشخص من الاشخاص المتماثلة بالنوع المتخالفة بالعوارض و الا لكان له مثل، و لا نوعية ولا جنسية لا بها مهما، ولا اتصالية لانقسامها، ولا اجتماعية لاعتباريتها، ولا عرضية، والا لم يكن في نفسه واحدا، ولا وحدة بالموضوع، والا لكان في موضوع، ولا بالمحمول، والا لكان له عارض زائد حقيقة الوجود في ان جميع الهويات الوجودية متقومة به لا يوجد بدونه، واذا كان كذلك فما من ذرة من ذرات الوجود الا نور الانوار مقوم لها محيط بها قاهر عليها، لا بمعنى الصنع و الايجاد فقط ولا بمعنى العلم بها علما زائدا على الذات» (الملاصدرا الشيرازي، شرح أصول الكافي، 1383 ش، الصفحات 315 , ج 3).

المبحث الثالث: تطبيق برهان الصديقين على تفسير الميزان

إن العلامة الطباطبائي أورد هذا البرهان وتجلياته مباشرا أو غير مباشر في تفسيره الميزان، من الآيات التي تؤيد مصداقية هذا البرهان:

أ) من ذلك جاء في سورة النور ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (سورة النور: آية 35) وقال الطباطبائي في تفسير الآية دلالة على أن الله تعالى مكشوف لنا بلا واسطة ((النور معروف وهو الذي يظهر به الأجسام الكثيفة لأبصارنا فالأشياء ظاهرة به و هو ظاهر مكشوف لنا بنفس ذاته فهو الظاهر بذاته المظهر لغيره من المحسوسات للبصر. هذا أول ما وضع عليه لفظ النور ثم عمم لكل ما ينكشف به شيء من المحسوسات على نحو الاستعارة أو الحقيقة .... و إذ كان وجود الشيء هو الذي يظهر به نفسه لغيره من الأشياء كان مصداقا تاما للنور، ثم لما كانت الأشياء الممكنة الوجود إنما هي موجودة بإيجاد الله تعالى كان هو المصداق الأتم للنور فهناك وجود ونور يتصف به الأشياء و هو وجودها و نورها المستعار المأخوذ منه تعالى و وجود و نور قائم بذاته يوجد و يستنير به الأشياء. فهو سبحانه نور يظهر به السماوات و الأرض...عمدة الغرض منه أن ليس المراد بالنور النور المستعار القائم بها وهو الوجود الذي يحمل عليها تعالى الله عن ذلك وتقدس)) (الطباطبائي م.، الميزان في تفسير القران، 1390ق، الصفحات 122 , ج 15). بناء على ذلك إن الله فضلا عن كونه نورا فهو متصف فيه بالإطلاقية مما يستنير به جميع الأشياء وهو نور الأنوار لو افترضنا أنورا مجازية هو النور الحقيقي والمطلق ويعطي الباقي نورا.

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i2.734

فهو سبحانه وتعالى ليس مبطونا ولا مجهولا ولا مختفيا، كما يستفاد من الآية ((إنه غير مجهول لشيء من الأشياء إذ ظهور كل شيء لنفسه أو لغيره إنما هو عن إظهاره تعالى فهو الظاهر بذاته له قبله، وإلى هذه الحقيقة يشير قوله تعالى بعد آيتين: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ .(سورة النور: آية 41) إذ لا معنى للتسبيح و العلم به وبالصلاة مع الجهل بمن يصلون له ويسبحونه فهو نظير قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.(سورة الإسراء، آية 44). فقد تحصل أن المراد بالنور في قوله: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾نوره تعالى من حيث يشرق منه النور العام الذي يستنير به كل شيء وهو مساو لوجود كل شيء وظهوره في نفسه ولغيره وهي الرحمة العامة (الطباطبائي م.، الميزان في تفسير القران، 1390ق، الصفحات 322 , ج 15)

ومن ناحية أخرى ((كون النور المضاف إلى الله تعالى في (مثل نوره) يدلنا على أن المقصود منه، نور استعاري يفيض به في الخلائق، ولا النور الاستعاري العام الذي يتجلى به جميع الأشياء. في الحقيقة، ذلك الوجود المطلق الذي تتصف به الأشياء وتستفيضه منه سبحانه،والذي يدل على هذا قوله سبحانه بعد خروجه من التمثيل: ﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ذلك أنه إن كان نوره العام ما تعلق به شيء دون شيء لكن هو نوره الخاص الذي يتعلق بالمؤمنين بحقيقة الإيمان. وعزا الله تعالى نورا إلى نفسه في باقي كلامه حيث يقول ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾(سورة الصف: آية 8) و قوله: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾(سورة الأنعام: آية 122) قوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ (سورة الزمر: آية 22) و قد جعل الله تعالى هذا النور للمؤمنين والمقربين ليستضيئوا به في التقرب إلى الله وذلك نور الإيمان والمعرفة)) (الطباطبائي م.، الميزان في تفسير القران، 1390ق، صفحة 123 بتصرف) . بناء على ما سبق، إن الله تعالى ليس غائبا عن الدنيا وأنفسنا لنستحضره وإنما نوركله ويستضيء به جميع الكائنات على الإطلاق.

ب) ومن قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(سورة الحديد: آية 3).وفي تفسير الآية يقول الطباطبائي ((تأسيسا على ما نفهم من الآية إن الذي عُدَّ أو اعتبر أولا فهو قبله فهو الأول دون الشيء المعدود أولا، الذي عُدَّ أو اعتبر آخرا فهو بعده لشمول قدرته عليه من كل ناحية فهو الآخر دون الشيء المعدود آخرا، الذي عُدَّ أو اعتبر ظاهرا فهو أكثر منه ظهورا لشمول قدرته عليه من فوقه فهو الظاهر دون المعدود ظاهرا، الذي عُدَّ أو اعتبر باطنا فهو سبحانه أبطن منه لاستيلائه عليه والإحاطة به من الوراء فهو الباطن دون المعدود باطنا فهو سبحانه كما جاء في الآية على الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية على جهة الإطلاق، و كل ما في غيره من هذه المميزات فهي تعتبر إضافية نسبية إطلاقا. كما أنه ليس تعد أوليته سبحانه ولا آخريته ولا ظاهريته ولا باطنيته من النوع الزماني والمكاني بمعنى مظروفيته لهما وإلا ما كان متقدما عليهما ولا تنزه عنهما تعالى بل هو الذي يحيط بجميع الأشياء على أي نحو من الأنحاء)) (الطباطبائي م.، الميزان في تفسير القران، 1390ق، الصفحات 146 , ج 19) .

والمستفاد من الآية إن ((تلك الأسماء الأربعة المذكورة في الآية تحديدا: الأول والآخر والظاهر والباطن متفرعة على المحيط وذلك متفرع على إطلاقية القدرة، فقدرة الله تعالى تحيط بجميع الأشياء ويجوز أيضا أن نفرع الأسماء الأربعة على إحاطته سبحانه (أي وجوده) على جميع الأشياء. فإنه سبحانه هو ممتاز بالثبوت قبل أن يكون قد ثبت شيء و ثابت أيضا بعد أن سيفنى كل شيء و الأقرب من جميع الأشياء الظاهرة والأبطن من الوهم والعقل ومن كل ما هو الخفي الباطن الغائب. و كذلك لتلك الأسماء نوع من التفرع على علمه سبحانه ويناسبه تعقيب الآية بكلامه: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ((الطباطبائي م.، الميزان في تفسير القران، 1390ق، صفحة بتصرف)

وتأسيسا على ذلك لقد أورد العلامة تفاسير أخرى في هذا الصدد، وهي تشير إلى نفس السياق أيضا: ((وقيل بعضهم الأسماء الأربعة بأنه الأول قبل كل شيء و الآخر بعد هلاك كل شيء الظاهر بالأدلة الدالة عليه و الباطن غير مدرك بالحواس. و قيل: الأول قبل كل شيء بلا ابتداء، و الآخر بعد كل شيء بلا انتهاء، و الظاهر الغالب العالي على كل شيء فكل شيء دونه، و الباطن العالم بكل شيء فلا أحد أعلم منه. وقيل: الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء والظاهر بلا اقتراب والباطن بلا احتجاب)) (الطباطبائي م.، الميزان في تفسير القران، 1390ق، صفحة 147). انطلاقا مما مضى ممكن القوم بأن الله تعالى واضح لنا وضوحا ليس بحاجة إلى برهان على إثباته لأنه هو البرهان نفسه على وجوده، وإفاضته الوجود لغيره من الكائنات.

ت) من قوله تعالى: ﴿وَلِلهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾.(سورة البقرة:آية 115).يفسر العلامة هذه الآية تفسيرا فلسفيا نحو الآيتين السابقتين، وذلك بقوله ((إن الله تعالى مسيطر على هذه الجهات وقائم بها وهو يكون معها، فالذي يتوجه إلى شيء من

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i2.734

هذه الجوانب أو الجهات متجه نحوه سبحانه وتعالى. وإذا كان الشرق والغرب الجهتين الإضافيتين اشتملتا على باقي الجوانب والجهات تقريبا ذلك أن لا يكون خارجا عن دائرتهما إلا نقطتا الجنوب والشمال الحقيقتان وعلى هذا ما قيد إطلاق قوله فأينما، بهما أن يقول: أينما تولوا (منهما) وكلامه سبحانه: فثم وجه الله، تقديره هو أينما تولوا جاز ذلك لكم فإن هناك وجه الله سبحانه، وينص على هذا الأمر تعقيب الكلام: ﴿إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(سورة البقرة:آية 115).معناه إنه سبحانه واسع ملكه وإحاطته، هوعليم بنواياكم أينما اتجهت، لا كالفرد من البشر أو سائر الخلق الجسماني لا يتجه نحوه إلا إذا كان في جهة محددة، ولا أنه يعلم اتجاه الناوي إليه إلا من جهة محددة كقدامه فقط، فالاتجاه إلى كل مكان هو الاتجاه إلى الله سبحانه، معروف له على الإطلاق)) (الطباطبائي م.، الميزان في تفسير القران، 1390ق، الصفحات 259 , ج 1).

ث- آية ﴿يا أَيهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (سورة الفاطر:آية 15). هذه الآية تشير إلى أن الله تعالى – الواجب الوجود– هو الغني التام عن الغير والغير مفتقر إليه من وجودا وحدوثا. بيان ذلك عن الآية المذكورة «أن السياق يشعر بأن أعمال هؤلاء المكذبين كانت تكشف عن أنهم كانوا يتوهمون أن لهم أن يستغنوا عن الله سبحانه بعبادة آلهتهم و أن لله إليهم حاجة و لذلك يدعوهم إلى نفسه بالدعوة الإلهية التي يقوم بها رسله فهناك غنى و فقر و لهم نصيب من الغنى و لله نصيب من الفقر تعالى عن ذلك. فرد الله سبحانه زعمهم ذلك بقوله: ﴿يا أَيهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾(سورة الفاطر:آية 15). فقصر الفقر فيهم و قصر الغنى فيه سبحانه فكل الفقر فيهم و كل الغنى فيه سبحانه، وإذ كان الغنى والفقر و هما الوجدان و الفقدان متقابلين لا يرتفعان عن موضوعهما كان لازم القصر السابق قصر آخر وهو قصرهم في الفقر وقصره تعالى في الغنى فليس لهم إلا الفقر وليس له تعالى إلا الغنى. فالله سبحانه غني بالذات له أن يذهبهم ويستغني عنهم وهم فقراء بالذات ليس لهم أن يستغنوا عنه بغيره» (الطباطبائي م.، الميزان في تفسير القران، 1390ق، الصفحات 35 ,ج17).

ويمكن التعليق على ذلك بهذا التوضيح أيضا «يا أيها الناس أنتم بما أنكم مخلوقون مدبرون لله الفقراء إلى الله فيكم كل الفقر والحاجة والله بما أنه الخالق المدبر، الغني لا غنى سواه. وعلى هذا لا ضير في قصر الفقر في الناس سواء أريد به المكذبون خاصة أو عامة الناس مع كون غيرهم من المخلوقات فقراء إلى الله كمثلهم وذلك أن عموم علة الحكم يعمم الحكم فكأنه قيل: أنتم معاشر الخليقة الفقراء إلى خالقكم المدبر لأمركم و هو الغني الحميد. وقد أجيب عن إشكال قصر الفقر في الناس مع عمومه لغيرهم بوجوه من الجواب: منها أن في قصر الفقر في الناس مبالغة في فقرهم كأنهم لكثرة افتقارهم و شدة احتياجهم هم الفقراء فحسب و أن افتقار سائر الخلائق بالنسبة إلى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (سورة النساء: آية 28)ولا يرد الجن لأنهم لا يحتاجون في المطعم والملبس و غيرهما كما يحتاج الإنسان. ومنها أن المراد الناس وغيرهم وهو على طريقة تغليب الحاضر على الغائب وأولي العلم على غيرهم» (الطباطبائي م.، الميزان في تفسير القران، 1390ق، الصفحات 35 ,ج17). في هذه الآية نواجه ملاحظتين هامتين : الأولى هي أن الله تعالى هو الغني التام مما لا حاجة له إلى الغير فهو المصدر الخير الذي يصدر غناه للمفتقر إليه. والثانية هي أن فقر الممكنات إليه له وجهان: الماهوي، معناه أنها بحاجة إليه من ناحية ماهياتها والثاني: الوجودي، معناه أن الممكنات بحاجة إليها إطلاقا من ناحية وجودها أيضا.

ج- آية ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ ... أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبارَكَ اللهُ رَبُّ الْعالَمينَ﴾(سورة الأعراف، آية:54). إن الآية تشير بنحو من الأنحاء إلى برهان الصديقين، وفيها ملاحظتان هامتان «إحداهما: أنه تعالى هو الذي خلق السماوات والأرض جميعا ثم دبر أمرها بالنظام الأحسن الجاري فيها الرابط بينها جميعا فهو رب العالمين. والثانية: أنه تعالى هو الذي يهيئ لهم الأرزاق بإخراج أنواع الثمرات التي يرتزقون بها بخلق ذلك بأعجب الطرق المتخذة لذلك وألطفها وهو الإمطار فهو ربهم لا رب سواه» (الطباطبائي م.، الميزان في تفسير القران، 1390ق، الصفحات 148 , ج8). فبان مما تقدم أن الله تعالى هو خالق الخلق الذي يحول الممكنات من العدم إلى الوجود.

والجدير بالذكر أن الأمر هاهنا يعني إيجاد الشيء وذلك يجري من جهة واجب الوجود، كما قال الطباطبائي في تفسير الميزان أيضا «أن الأمر هو الإيجاد سواء تعلق بذات الشيء أو بنظام صفاته و أفعاله فأمر ذوات الأشياء إلى الله و أمر نظام وجودها إلى الله لأنها لا تملك لنفسها شيئا البتة، والخلق هو الإيجاد عن تقدير وتأليف سواء كان ذلك بنحو ضم شيء إلى شيء كضم أجزاء النطفة بعضها إلى بعض وضم نطفة الذكور إلى نطفة الإناث ثم ضم الأجزاء الغذائية إليها في شرائط خاصة حتى يخلق بدن إنسان مثلا، أم من غير أجزاء مؤلفة كتقدير ذات الشيء البسيط و ضم ما له من درجة الوجود وحده و ما له من الآثار و الروابط التي له

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i2.734

مع غيره، فالأصول الأولية مقدرة مخلوقة كما أن المركبات مقدرة مخلوقة» (الطباطبائي م.، الميزان في تفسير القران، 1390ق، الصفحات 152 , ج8).

ح – آية ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ في أَنفُسِهِمْ حَتَّى يتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهيدٌ﴾(سورة فصلت: آية 53). والمعنى أولم يكف في تبين الحق كون ربك مشهودا على كل شيء إذ ما من شيء إلا و هو فقير من جميع جهاته إليه متعلق به و هو تعالى قائم به قاهر فوقه فهو تعالى معلوم لكل شيء و إن لم يعرفه بعض الأشياء. واتصال الجملة أعني قوله: «أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ» إلخ بقوله: « سَنُرِيهِمْ » إلخ على الوجه الأخير من الوجوه الثلاثة الماضية ظاهر، وأما على الوجهين الأولين فلعل الوجه فيه أن المشركين إنما كفروا بالقرآن لدعوته إلى التوحيد فانتقل من الدلالة على حقية القرآن للدلالة على حقية ما يدعو إليه إلى الدلالة على حقية ما يدعو إليه مستقيما من غير واسطة كأنه قيل: سنريهم آياتنا ليتبين لهم أن القرآن الذي يخبرهم بها حق فيتبين أن ربك واحد لا شريك له ثم قيل: و هذا طريق بعيد هناك ما هو أقرب منه أ ولم يكفهم أن ربك مشهود على كل شيء» (الطباطبائي م.، الميزان في تفسير القران، 1390ق، الصفحات 405 , ج 17). هذه الآية تشير إلى أن الممكنات كلها مفتقرة إلى وجود الله التام وهو شاهد كل مشهود إطلاقا.

خ– آية ﴿اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾(سورة آل عمران: آية 18). هذه الآية هي وجه آخر من برهان الصديقين مما تبلور في تفسير العلامة الطباطبائي في قوله تعالى يقول العلامة الطباطبائي إن الله تعالى ذاته مستجمع لجميع الصفات، بقوله « أنه سواء أخذ من أله الرجل بمعنى تاه و وله أو من أله بمعنى عبد فلازم معناه الذات المستجمع لجميع صفات الكمال على سبيل التلميح. وقد تقدم بعض الكلام في قوله تعالى: لا إله إلا هو، في قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾(سورة البقرة: آية 163)، و ضمير هو و إن رجع إلى اسم الجلالة لكن اسم الجلالة لما كان علما بالغلبة يدل على نفس الذات من حيث إنه ذات و إن كان مشتملا على بعض المعاني الوصفية التي يلمح باللام أو بالإطلاق إليها، فقوله: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، يدل على نفي حق الثبوت عن الآلهة التي تثبت من دون الله. وأما اسم الحي فمعناه ذو الحياة الثابتة على وزان سائر الصفات المشبهة في دلالتها على الدوام والثبات»» (الطباطبائي م.، الميزان في تفسير القران، 1390ق، الصفحات 328 , ج 2).

النتائج

إن العلامة الطباطبائي استفاد من برهان الصديقين كثيرا في تفسير الميزان، كما أنه قرر هذا البرهان تقريرا واضحا في كتبه النظرية. من خلال ما فصلنا فيه الكلام نخلص إلى الموارد التالية:

1– إن موقف العلامة الطباطبائي من واقعية الوجود، باعتبارها أمرا أصيلا بالذات، لا يساوره أي شك وريب لا في واقعيته ولا في ثبوتها، كما لا يطرأ على أي انتفاء والزوال. بعبارة أدق، إن واقعية الوجود هي امر لا يشوبه اي شرط وقيد. غير أن ما يكون بالكون أو الطبيعة ليس هكذا، بل ذلك يتأثر بالانتفاء والفناء، على هذا الأساس، إن هذا الكون، من هذه الناحية، معتمدة على واقعية غير قابلة للانتفاء، وبناء على هذه الواقعية تنبني واقعية الكون والعالم، ولولاها لما وجد العالم أو الكون كله وما فيه من الأجزاء. ومن البديهي أنه ليس مفهوم هذا أن تلك الواقعية حالة في الكون أو متحدة معه أو أن جزءا منها اتحد مع الكون، بل مثل الضوء الذي تستنير به الأجسام المظلمة وبدونه لا نور في ذلك العالم. رؤية العلامة الطباطبائي هذه تشبيه قضية نور الأنوار للسهروردي حيث اعتبر الله تعالى نور الأنوار والذي في الكون مفتقر إليه في نورانيته.

2– إن العلامة الطباطبائي لم يستند، في تبيينه لبرهان الصديقين إلى أي تمهيد فلسفي، هو يرفض أن يكون البحث يدور حول الماهية أو الوجود، بل يرى أن البحث ينبغي أن يجري أولا في أمر الواقع، بمعنى أن الواقع موجود أو لا، وبالتالي يذهب إلى أن افتراض انتفاء الواقع أمر مستحيل، ذلك أن يوجب افتراض انتفائه ثبوتها والأمر الذي يوجب فرض انتفائه فذلك لا يمكن افتراض زواله أساسا، ولما استحال فرض انتفائه أساسا، بالتالي تحصل ضرورة وجوده إطلاقا.

3– والحاصل إن في رؤية العلامة هذه واجب الوجود في حد ذاته، متميز بالواقعي على مثل الضرورة الأبدية. فبغض النظر عن واجب الوجود في برهان الصادقين، هناك جهة أخرى وهي أن الموجودات تكون إما مسبوقة بالزوال والنفي أو منضما إليه. من هنا نصل إلى النتيجة أن قضية إثبات الواجب الوجود لا تنبني على أساس تصديقي– فلسفي، بسبب أن هذا الأمر ليس أمرا نظريا بل ذلك بديهي.

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i2.734

4- استطاع العلامة الطباطبائي من خلال الاعتماد على برهان الصديقين، مباشرا أو غير مباشر، تطبيق هذا البرهان في كثير من تحليلاته للآيات القرآنية. ك الآية 35 من سورة النور، والآية 3 من سورة الحديد. حاول من خلال تفسير هذه الآيات إثبات ذاته سبحانه وتعالى واستغنائه عن غيره، بل كون الغير مفتقر إليه في ماهويا وحدوثا ووجودا.

المصادر

القران الكريم

ابو الحسن ابن سيدة. (1417ق). *المخصص*. (خليل ابراهيم جفال، المحرر) بيروت، لبنان: دار احياء التراث العربي.

جعفر التبريزي السبحاني. (1421ق). *مفاهيم القرآن* (المجلد 4). (جعفر هادي، المحرر) قم، ايران: مؤسسة الامام الصادق عليه السلام.

جعفر السبحانى التبريزى. (1308ق). *عصمة الانبياء في القران الكريم*. قم، ايران: مؤسسة الامام الصادق (ع).

حسن غالب. (2001م_1421ق). *نظرية العلم في القران ومدخل جديد للتفسير* (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الهادي.

حسين بن عبد الله ابن سبنا. (1413ق _1339ش). *الاشارات , نقل ايضا السيفى المازندرانى، البراهين الواضحة فى عقائد الإمامية على ضوء العقل و الكتاب و السنة* (المجلد 1). طهران، ايران: منشورات جامعة طهران.

مجد الدين الفيروزآبادى. (2005م). *القاموس المحيط* (المجلد 8). (مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، المحرر) بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد بن ابراهيم الملاصدرا الشيرازي. (1383 ش). *شرح أصول الكافى*. طهران، ايران: مؤسسة الدراسات والابحاث الثقافية.

محمد الطبطبائي، و محمد حسين الطبطبائي. (2012). *الميزان1999*. قخ: الوطنية للنشر.

محمد امين بن محمد المختار الجنكى الشنقيطى. (2019م _1415ق). *اضواء البيان في ايضاح القران بالقران* (المجلد 5). بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر.

محمد بن ابراهيم الملاصدرا الشيرازي. (1981م). *الحكمة المتعالية فى الأسفار العقلية الأربعة* (المجلد 3). (علامة الطباطبائي، المحرر) بيروت، لبنان: دار احياء التراث العربي.

محمد بن احمد الازهري. (1382ق _2001م). *تهذيب اللغة*. (محمد عوض، المحرر) بيروت، لبنان: دار احياء التراث العربي.

محمد بن مكرم ابن منظور. (1414ق). *لسان العرب* (المجلد 3). (اليازيجي، المحرر) بيروت، لينان: دار الصادر.

محمد حسبن الطباطبائي. (1986 م _1419 ق). *الرسائل التوحيدية* (المجلد 1). قم: دار الطباطبائي للنشر.

محمد حسين الطباطبائي. (1362 ش). *نهاية الحكمة* (المجلد 1). (شيخ عباس علي الزراعي السبزواري، المحرر) قم، ايران: مؤسسة النشر الاسلامي.

محمد حسين الطباطبائى. (1390ق). *الميزان*. بيروت: دار الاعلمي للمطبوعات.

محمد حسين الطباطبائي. (1390ق). *الميزان في تفسير القران* (المجلد 2). بيروت، لبنان: موسسة الاعلمي للمطبوعات .

محمد حسين الطباطبائي. (1390ق). *الميزان في تفسير القران* (المجلد 2). بيروت، لبنان: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

محمد حسين الطباطبائى. (2023م). *اصول الفلسفة والمنهج الواقعي* (المجلد 2). (عمار ابو رغسف، المترجمون) بيروت، لبتان: مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر في ايران , قم , نشر دار زين العابدين.

محمد حسين الطباطبائى. (بيروت). *الميزان*. لبنان: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

مرتضى الزبيدي. (1414ق,1431ق). *تاج العروس*. (مجموعة من المؤلفين، المحرر) بيروت، لينان: دار الفكر.

مرتضى رضائي. (1392 ش). *اثبات وجود الله فى فلسفة ابن سينا، المقالة العلمية الترويجية* (المجلد العدد والرقم 190 عام 22). قم، ايران: مءسسة الامام الخميني الدراسية.

ناصر مكارم الشيرازى. (1426ق). *نفحات القران* (المجلد 1). قم، ايران: مدرسة او مؤسسة الامام علي بن ابي طالب للنشر.

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i2.734

References

———. (1362 SH). *Nihayat al-Hikma* (Vol. 1). (Sheikh Abbas Ali al-Zar‘ai al-Sabzawari, Ed.). Qom, Iran: Islamic Publishing Institute.

———. (1390 AH). *Al-Mizan fi Tafsir al-Qur’an* (Vol. 2). Beirut, Lebanon: Al-A‘lamiyyah Press.

———. (1981 CE). *Al-Hikma al-Muta‘aliya fi al-Asfar al-‘Aqliyya al-Arba‘a* (Vol. 3). (Allama al-Tabataba’i, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar Ihya’ al-Turath al-Arabi.

———. (2023 CE). *Usul al-Falsafa wa al-Manhaj al-Waqi‘i* (Vol. 2). (Ammar Abu Raghsef, Trans.). Beirut, Lebanon: Umm al-Qura Institute for Research and Publishing, in cooperation with Dar Zain al-Abidin Publishing, Qom, Iran.

Al-Azhari, Muhammad ibn Ahmad. (1382 AH/2001 CE). *Tahdhib al-Lugha* (Muhammad ‘Awad, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar Ihya’ al-Turath al-Arabi.

Al-Fayruzabadi, Majd al-Din. (2005 CE). *Al-Qamus al-Muhit* (Vol. 8). (Heritage Research Office at Al-Risala Institute, Ed.). Beirut, Lebanon: Al-Risala Publishing, Printing, and Distribution.

Al-Janki al-Shinqiti, Muhammad Amin ibn Muhammad al-Mukhtar. (2019 CE/1415 AH). *Adwa’ al-Bayan fi Idah al-Qur’an bi al-Qur’an* (Vol. 5). Beirut, Lebanon: Dar al-Fikr for Printing and Publishing.

Al-Shirazi, Nasir Makarim. (1426 AH). *Nafahat al-Qur’an* (Vol. 1). Qom, Iran: Imam Ali ibn Abi Talib Publishing House.

Al-Subhani, Ja‘far al-Tabrizi. (1308 AH). *‘Ismat al-Anbiya’ fi al-Qur’an al-Karim.* Qom, Iran: Imam al-Sadiq Institute.

Al-Subhani, Ja‘far al-Tabrizi. (1421 AH). *Mafāhīm al-Qur’ān* (Vol. 4). (Ja‘far Hadi, Ed.). Qom, Iran: Imam al-Sadiq Institute.

Al-Tabataba’i, Muhammad Husayn. (1986 CE/1419 AH). *Al-Rasa’il al-Tawhidiya* (Vol. 1). Qom, Iran: Al-Tabataba’i Publishing House.

Al-Zabidi, Murtada. (1414 AH/1431 AH). *Taj al-‘Arus* (A group of authors, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Fikr.

Ghalib, Hasan. (2001 CE/1421 AH). *Nazariyyat al-‘Ilm fi al-Qur’an wa Madkhal Jadid li al-Tafsir* (Vol. 1). Beirut, Lebanon: Dar al-Hadi.

Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram. (1414 AH). *Lisan al-‘Arab* (Vol. 3). (Al-Yaziji, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Sadir.

Ibn Sida, Abu al-Hasan. (1417 AH). *Al-Mukhaṣṣaṣ* (Khalil Ibrahim Jaffal, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar Ihya’ al-Turath al-Arabi.

Ibn Sina, Husayn ibn ‘Abdullah. (1413 AH/1339 SH). *Al-Isharat*, also cited in *Al-Sayfi al-Mazandarani, Al-Barahin al-Wadiha fi ‘Aqa’id al-Imamiyyah ‘ala Daw’ al-‘Aql wa al-Kitab wa al-Sunnah* (Vol. 1). Tehran, Iran: University of Tehran Press.

Mulla Sadra al-Shirazi, Muhammad ibn Ibrahim. (1383 SH). *Sharh Usul al-Kafi.* Tehran, Iran: Institute for Cultural Studies and Research.

Rida’i, Murtada. (1392 SH). *Ithbat Wujud Allah fi Falsafat Ibn Sina, al-Maqala al-‘Ilmiyya al-Tarwijiyya* (Vol. 190, Issue 22). Qom, Iran: Imam Khomeini Educational Institute.

 DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i2.734